## الدرس الثامن: علم الدلالة والمعجمية الاجتماعية الغربية

### عناصر الدرس:

**أولا: تعريف علم الدلالة**

**ثانيا: علاقة علم الدلالة بالمعجمية الاجتماعية الغربية**

**ثالثا: التعريف بمؤسس المعجمية الاجتماعية**

**رابعا: تعريف المعجم**

**خامسا: علاقة المعجمية الاجتماعية باللسانيات البنيوية**

**سادسا: علاقة المعجمية بالعلوم الأخرى**

**سابعا: الأسس المعجمية للمعجمية الاجتماعية (عند ماطوري)**

**ثامنا: علاقة اللسانيات الاجتماعية بالمعجمية الاجتماعية (عند ماطوري)**

### أولا: تعريف علم الدلالة

يُعرَّف علم الدلالة من قبل بيير جيرو بأنَّه: " **دراسة معنى الكلمات** " **(Pierre Guiraud, La sémantique, 1955: 5)**

فيحيلنا هذا التعريف إلى **موضوع** علم الدلالة وهو معنى الكلمات ودلالاتها، من هنا يكشف عن فرع من فروع علم الدلالة العام وهو **علم الدلالة المُعْجَمي**، الذي يَحصر **المعنى اللساني** (الدلالة اللسانية) في الوحدات المُعْجَميّة وحدها، الكلمات البسيطة أو التعبيرات المسنَّنة.

يقول بيير جيرو: يُعنى " علم الدلالة " **بدراسة معنى الكلمات:** إنّ الكلام عبارة عن وساطة اتصال. فأنا حين أنطق بكلمة «ولد»، فإني أنقل بهذه الكلمة إلى شخص ما رغبتي في حيازة شيء ما، ويفهم هذا الشخص ما أريد: الفكرة، أي صورة موجودة في ذهني وقد انتقلت إلى ذهنه.

أمر معقَّد تشترك فيه الأشياء، والصورة الذهنية للأشياء، كما يشترك فيه تكوّن الأصوات واندراجها ضمن نظام معين. ثم يشترك السمع أيضاً، وتكون الصورة في ذهن السامع. وإن كل هذا يكون عدداً من القضايا التي تهم نظرية المعرفة، والمنطق، وعلم النفس، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم الصور السمعية (L'acoustique) واللسانيات.

نستطيع في إطار اللسانيات أن نفكك سلسلة الكلام إلى ثلاثة عناصر: أصوات، كلمات، وبنى نحوية تحددها أشكالها ووظائفها في الوقت نفسه.

يدرس علم الدلالة، إذن، وظيفة الكلمات. وعلى عاتق هذه الوظيفة يقع نقل المعنى.

| | شكل | وظيفة |
|---|---|---|
| أصوات | | |
| كلمات | | دلالات |
| بنى | | |

## ثانيا: علاقة علم الدلالة بالمعجمية الاجتماعية الغربية

يقول جورج ماطوري: " على المعجمية أن تتميَّز عن علم الدلالة[1] (Sémantique) الذي بحكم دراسته للقيم (المعاني) المتعاقبة للكلمات المفردة، يعتبر مادة علمية تنتمي إلى **اللسانيات التاريخية**، بينما المعجمية – وهي كما سنرى– مادة **علمية اجتماعية** تدرس مجموعات الكلمات منظورا إليها إحصائيا من زاوية المفهوم ". (جورج ماطوري: منهج المعجمية، ترجمة عبد العلي الودغيري، ص 62.)

حسب ماطوري فإنَّ علم الدلالة (Sémantique) هنا يُنظر إليه بمنظور تاريخي (تطوري) بالعودة إلى **ميشال بريال**. فهو يركِّز على **حياة الكلمة الواحدة وتطوُّرها**، كيف بَدأ معناها وكيف تحوّل عبر الزمن لأسباب متعدِّدة (مثلاً كيف انتقلت كلمة من معنى مادي إلى معنى مجرد). لذا فهو جزء من اللسانيات التاريخية.

أمَّا المعجمية (Lexicologie): فيعرِّفها ماطوري باعتبارها **علما اجتماعيا وإحصائيا**. بحيث لا ينظر إلى الكلمة منفردة أو معزولة، بل تدرس ضمن النظام اللغوي للغة ما، أو ضمن **حقول معجمية** داخل المجتمع. هي تبحث في كيفيات استخدام **الجماعة اللغوية** لمجموعات الكلمات اعتمادا على **الإحصاء** لفهم **شيوع المفردات** وتوزُّعها في حقبة معينة.

يقوم علم الدلالة على المحور العمودي بتتبع الزمن، وتقوم المعجمية على المحور الأفقي حيث تدرس **بنية المجتمع اللغوي**.

إنَّ الاستناد إلى **إطار نظري** ممثلا في **علم المعاجم (المعجمية)** من شأنه أن يمنح صناعة المعجم لغة واصفة قادرة على وصف وتفسير **قضايا معجمية ودلالية** (الغامض الملتبس، المبهم، البوليسمي

---

[1] (كلمة (Sémantique) كان قد اخترعها يوم ميشـــال بريال Michel Bréal، وهي تعوّض كلمة (Semiologie) التي لم تعد تســـتعمل قط. وبعض المؤلّفين وخاصة **هوليمان وسكونز** نسبا لكلمة (Sémantique) المعنى الذي نعطيه نحن لكلمة (Lexicologie). ونعتقـــد أنَّ استعمال كلمة (Sémantique) على هذا النحو يؤدّي إلى الخلط الذي فيه ما فيه من الخطورة.)

والأومونيمي، المجاز...)، ووحدهما **عالم المعاجم وعالم الدلالة** القادران على حلِّ مثل هذه المعضلات، أما صانع المعجم فدوره يقتصر على إعداد المعجم وأخذ المداخل المعجمية جاهزة وصالحة من عالم المعاجم.

يشعر المعجميون بوجود هوّة عميقة تفصل بين **النظريات اللغوية التي تتصل بدراسة المعنى**، والتي ظهرت حديثا **والتطبيقات المعجمية** التي مازالت حتى الآن تعتمد تقاليد قديمة العهد، وذلك على الرغم من إدراكهم أهمية الاطلاع على هذه **النظريات الحديثة في علم الدلالة** لمعرفة **طبيعة الدلالة اللغوية ووجهاتها المختلفة** إلا أنهم في الوقت نفسه يترددون كثيرا في الاعتماد على الأسس غير المؤكدة للدراسات الحديثة التي تدور حول المعنى، لأنَّ هذه الدراسات أوسع بكثير من الحدود التي يعمل فيها صناع المعاجم.

وكذلك الحال عند التوزيعيين الذين عدوا "الوضع" هو الذي يحدد **المعنى ويعرفه**، ومن هنا يبدو لنا أن **علم الدلالة مرفوض من حيث كونه أداة توصيلية لمعرفة بني اللغة أولا، وطريقة تحليلها ثانيا**، فيتبين أن المعاني ليست المرفوضة هنا، أو المنكرة بل إمكانية بناء التعليل على أساس معنوي وحسب، لأن المعنى لا يتسرب في عملية التحليل ولا يتدخل إلا بوصفها تقنية نتعرف بها على البيانات المثالية، إلا أن "فيرث" البريطاني، وهو معاصر لبلومفيلد دعا إلى المعنى بشكل قلب الدراسة اللغوية، ويعدها نشاطا ذا معنى، وهكذا منذ أواخر الخمسينات ظهرت بعض الكتب الأمريكية التي تعطي حيزا بسيطا للدلالة، مثل محاولات "هيل" و "غليبسون" و"هال"، وعلى الرغم من أن فيرث كان واحدا من هؤلاء اللغويين الذين ربطوا بين التحليل النحوي، والمعني، إلا أن هيمنة المدرسة الشكلية الأمريكية كانت تحول دون ظهور عمق التحليل النحوي وواقعيته من حيث ارتباطه بالمعنى سواء عند فيرث أو عند غيره.

لقد ازداد اهتمام الغربيين بالصناعة المعجمية في العقود الأخيرة بشكل كبير، فخلال الأعوام العشرة الماضية، ارتفعت الأصوات لتطالب بإدماج علم الدلالة في النظرية اللغوية، وهذا ما أعطى الصناعة المعجمية دفعا جديدا.

في عام 1963 نشر "كاتس" و"فودور" نظريتهما في علم الدلالة وطالبا بأن تُؤلَّف المعجمات على هدي مبادئ نظريتهما ، وقد أثرت نظريتهما هذه في تفكير عدد من علماء اللغة المبرزين بمن فيهم "تشومسكي" زعيم المدرسة التوليدية التحويلية وقد أثار الجدل الذي دار بين كاتس وفودور من جهة ومناوئيهما من جهة أخرى بظهور نظريات جديدة في علم الدلالة مثل نظرية "فاين رايش" التي تضمنتها مقالتة استطلاعات في نظرية المعنى" وفي أثناء ذلك توالت الاقتراحات الخاصة بطرائق البحث المعجمية الحديثة التي أطلقها علماء اللغة مشهورون من أمثال جارلس فلمور وجيمس مكولي.

إن كل هذه المحطات والإنجازات والتطورات للصناعة المعجمية، لدليل على أن الصناعة المعجمية بدأت تلقى القبول والاهتمام زمنا بعد زمن، وهي بحاجة إلى **تطبيق نتائج علم اللغة وعلم الدلالة**، لتكون المعاجم أكثر فائدة وأكثر إيضاحا للمعاني.

## ثالثا: التعريف بمؤسس المعجمية الاجتماعية

ولد جورج ماطوري (Georges Matore) بضاحية باريس سنة 1908. واتجه في بداية الأمر إلى دراسة الرسم، ثم إلى دراسة اللغة والفلسفة والتاريخ بجامعة السوربون؛ وخلال أدائه للخدمة العسكرية بالمغرب العربي، استغل فرصة وجوده بالدار البيضاء والجزائر، فعمل على الاستئناس بدراسة اللغة العربية ولاسيما الدارجة المغربية. وبمجرد عودته إلى باريس تابع دراسته للعربية الفصحى والعامية بمدرسة اللغات الشرقية، مما أهله ليترشح باقتراح من الخارجية الفرنسية، لمنصب معيد بجامعة بغداد (العراق) سنة 1938، ولكن ظروف تلك الفترة لم تسمح بأن يلتحق بمنصبه، وعُيّن بدلا من ذلك أستاذا للغة الفرنسية في عاصمة لتوانيا بمنطقة البلطيق التي ظلت إلى حين قريب خاضعة للاتحاد السوفياتي قبل أن ينحل مؤخرا.

قضى في لتوانيا فترة ما بين 1938 و1943، اعتقله خلالها الجيش الأحمر عدة شهور بعد استيلائه على لتوانيا، ثم أطلق سراحه بعد دخول النازية التي ما لبثت أن اعتقلته بدورها مدة قصيرة.

في بداية صيف 1943، والحرب العالمية الثانية على أشدها، عاد إلى بلده صحبة زوجته (ألدونا) التي تزوجها في لتوانيا. وفي 1946 حصل على الدكتوراه عن أطروحته التي كانت بعنوان «**المفردات والمجتمع في عهد لوي فيليب**»؛ وابتداء من هذا التاريخ إلى سنة 1974 عمل أستاذا للسانيات والحضارة الفرنسية بكلية الآداب في بيزنسون (فرنسا) ثم السوربون بباريس.

عمل، في موازاة ذلك، رئيسا لجمعية الحرية من أجل البلطيق».

أنجز عددا من الدراسات اللغوية والأدبية، نذكر منها على الخصوص:

- مقدمة الآنسة دي موبسان لغوتييه (1947)؛
- المفردات والمجتمع في عهد لوي فيليب (1951)؛
- قاموس المفردات الأساسية (1958)؛
- الفضاء الإنساني (1962)؛
- المفردات والمجتمع في القرن السادس عشر (1968)؛
- الموسيقى والبنية القصصية في بحثا عن الزمن الضائع» (1970)
- تاريخ القواميس الفرنسية (1976)؛
- المفردات والمجتمع الوسيط (1985)؛
- سجوني في لتوانيا (1992)، وهو آخر كتاب صدر له لحد الآن (وهو عبارة عن ترجمة ذاتية كتبت بأسلوب أدبي ممتع، خاصة بفترة إقامته بلتوانيا ما بين 1938 و1943)؛

هذا فضلا عن عدد آخر من المقالات العلمية المنشورة بالمجالات المتخصصة؛ أما كتاب منهج المعجمية» الذي بين يديك، فقد صدرت طبعته الأولى سنة 1953، ثم طبعته الثانية سنة 1973، وكلتاهما من منشورات ديديي (Didier) بباريس. وعنوانه الأصلي:

La Méthode en Lexicologie Domaine français

## رابعا: تعريف المعجم

يعرّف **إيغور ميلتشوك** المعجم فيما يلي: " نُسمّي معجم لغة ما، مادة معجم اللُّغة التي تتخِذُ شكل تحديد جُزءِ هام من اللكسيمات، حيث يقدّم المعلومات الضرورية عن كلِّ لكسيمة [وحدة معجمية] ". من خلال هذا التعريف يرى **ميلتشوك** أنّ المعجم جزءِ هام من ليكسيمات اللغة الطبيعية، فهو لا يقبل جميع مفردات اللغة وليس بإمكانه أن يؤرّخ لمفردات لغة ما، وعليه تقديم المعلومات الضرورية عن كل لكسيمة. والمعجم هو ذلك الكتاب الضخم الذي يضم مفردات اللغة المتداولة من قبل عشيرة لغوية ما مرتّب على نظام أبجدي.

ويرى الباحثان "**بول فيبر**"، و"**كريستان بايلون**"، أنَّ المعاجم هي أولا وقبل كل شيء **موضوعات مصنوعة ومرتبة وأدوات بيداغوجية**. ويضيف الباحثان أنَّ المعاجم تختزل بين دفَّتيْها **المعرفة الإنسانية**.

ويذهب إلى هذا الرأي المعجمي الفرنسي "**جورج ماتوري**" **G.Matore**، حيث يعدّ **الْمُعجَم صورة تعكس الخصائص الثقافية والحضارية لأمَّة ما؛ لأنَّ اللُّغة ظاهرة اِجتماعية تعبِّر عن تجارب وخصائص أمَّة من الأمم**. إلا أنَّ لهذا الرأي نظرة مخالفة من طرف "**دوبوف**"؛ إذ يرى أنَّ القاموس لا يعكس حقيقة اللغة برمَّتها وما تنتجه المجموعات اللغوية، لأنه يكتفي **بالمدوَّن والمسجَّل**، ويقول بعدم وجود أو استحالة معجم شامل وجامع ومفضي لجمع مفردات لغة ما.

## خامسا: علاقة المعجمية الاجتماعية باللسانيات البنيوية

قال منذر عياشي:

لكي نقف على الفوارق بين الدلاليات البنيوية في مرحلتيها، نحتاج إلى معرفة السمات الأساسية التي شكلت توجّه الدلاليات البنيوية في مرحلتها الثانية. ذلك لأنّ هذه السمات تعد على نحو من الأنحاء، بمثابة **المنطلقات النظرية والمبادئ الأولى لكل اشتغال دلالي** يريد أن يتّخذ لنفسه صفة " **البنيوية** " في الدرس اللغوي.

لا تختلف البنيويات الدلالية في جيلها الثاني عن البنيويات الدلالية في جيلها الأول من حيث العناية بالألفاظ. ولكن البنيويات الدلالية في جيلها الثاني حدّدت لنفسها مساراً يتّسق أكثر مع التوجُّهات المنهجية التي حدّدتها لنفسها في البحث اللغوي.

وبقول آخر، لقد أرادت البنيويات الدلالية أن تطبق على البحث الدلالي الخطوات نفسها التي طبقتها اللسانيات البنيوية على البحث اللغوي: ولذا نجد أنَّ مصطلح " **علم الدلالة** " لم يلق منها كبيرَ عِناية، وأنَّها تركته لمن يَعمَلُ في مجال الدلاليات التاريخية على نحو ما فعل به **ميشيل بريال** مؤسس هذا العلم، والذي أراده عِلْماً مستقلاً. وتنفيذاً لتوجُّهها، فقد سارت في طريقين:

- **الأوَّل**، وأرادت أنْ تُقيم فيه **نسقاً دلالياً للألفاظ، وبنية ترتبط الدَّلالاتُ فيها بعلاقات** تجعل كلَّ لفظ جُزءاً من المعنى الذي يؤدّيه داخل النَّسق، وذلك بحسب **توزيعه ووظيفته**.
- **الثاني**، وأرادت أنْ تَحصر فيه الدَّلالات الآنية لاستخدام الألفاظ في اللُّغة. ولذا، فقد سعت إلى إنشاء ما يسمّى " المعجمية " أو علم صناعة المعجم. وهو علم تخصص بدراسة الألفاظ في إطار دراسة العلاقات الآنية للمعنى.

وبهذا، فقد حلّ مفهوم المعجمية الذي يرى أنَّ اللغة مكوَّنة من وحدات معجمية مبنية محل المفهوم اللفظي الذي يرى أنّ اللغة مكوَّنة من ألفاظ يمكن أن تسجّل لتوضع في مدونة. ولقد نرى أنّ عدة تيارات ستتنازع هذا التوجّه. وذكرت **إيرين تامبا ميكز** أنَّ أهم انشقاق حصل فيه، إنما كان بين أنصار **مجموعة البنى المتعددة والمستقلة أو أنصار الحقل**، وبين **أنصار البنية الاجمالية للمعجم**". فلقد كان كل فريق منهما يخوض صراعاً بين أطروحتين:

- **الأطروحة الأولى**، وتكون فيها البنى المعجمية بنى مغلقة على نفسها.

ويعني هذا أنَّ عناصرها التي تكوّنها إنما تنتظم فيها إزاء بعضها فقط دون تدخل من أي عنصر خارجي. ولذا، فإنّ هذا الانتظام يعد نوعاً من الاشتراط. ويجب على العناصر أن تتبادله فيما بينها، وذلك لكي تدل به على وجودها في البنية ولكي يدل هو بانتظامها في البنية، على هذا النحو، بأنها تشكّل نسقاً يتميّز من الأنساق الأخرى.

ونلاحظ أن القواعد التي تسوس هذا النوع من البنى المغلقة لسانياً، هي القواعد الوظيفية. ألا وإن من خصائص هذه القواعد أن لا تعير أي نشاط خارجي حاف بهذه البنى ومتصل بها، أي مكانة أو اهتمام. ولذا، فهي لا تستند إلا إلى البنى نفسها لتفسير انتظام أي عنصر داخلها أو لاستنباط دلالة ما لهذا الانتظام.

- **الأطروحة الثانية** وهي على عكس الأولى. ولذا، فإنَّ البنى المعجمية فيها تكون مفتوحة لسانيا. ولقد يعني هذا أن ثمة شروطاً خارجية قد أثّرت على انتظام العناصر داخل البنية على هذا النحو أو ذاك. كما يعني أنه بوساطة هذه الشروط الخارجية يمكن للمرء أن يفسّر وجود أي عنصر داخل البنية أو استنباط دلالة ما.

ويجب أن نلاحظ أنّ هذه الأطروحة، تحقيقاً لهذا الغرض، قد تواشجت بالضرورة مع بنى ذات نظام نفسي واجتماعي ".

**سادسا: علاقة المعجمية بالعلوم الأخرى:**

- **المعجمية المتفتحة:** إذ ركَّز ماطوري بشدّة في هذه النقطة على دور العلوم المجاورة في مساندة المعجمية (الاجتماعية) في منهجها الدراسي: دعا ماطوري في كتابه بقوة إلى **انفتاح اللسانيات بصفة عامة والمعجمية بصفة خاصة على كل العلوم المجاورة وغير المجاورة**. وهذا بارز في تسمية ماطوري **لمعجميته**؛ إذ يدعو إلى تحرير اللغة والخروج من قوقعتها، ومحاولة الاستفادة من جميع العلوم، ومحاولة إبعادها من ذاتيتها التي عرفتها سابقا. ومن أهم العلوم التي استفادت من المعجمية التي دعا إليها جورج ماطوري نجد:

**أ – التاريخ:** والتاريخ المشار إليه هنا هو تاريخ الحروب والمعارك، قال: «**بل هو تاريخ العادات والدراسات التركيبية للتاريخ بصفة خاصة**». وباعتبار المعجمية **علما تركيبيا**، عليها أن تستعير وثائقها من التاريخ.

**ب – علم الاجتماع:** باعتبار المجتمع مادة المعجم التي يستقي منها مفرداته، فهو بالضرورة يجاورها في مهامها، وبصفة المجتمع العنصر الوحيد المتغير الذي تطرأ عليه الأحداث، فعلينا أن تعتمد عليه في معرفة التحوُّل اللغوي.

كما يمكننا أن نعرف المعجمية بأنها علم مجتمعي يستخدم الأدوات اللسانية التي هي الكلمات وبالتالي فإن المعجمية تأخذ مادتها من اللسانيات واللسانيات التاريخية، فتصنع المعجم التاريخي للغة، ولها علاقة بالتاريخ وعلم الاجتماع، وعلم النفس والفيزيولوجيا، وغيرها من العلوم التي تأخذ منها مادة للدراسة تؤثر وتتأثر بها.

**سابعا: الأسس المعجمية عند ماطوري:**

يصادف القارئ في مراحل بحثه عدّة صعوبات في تحديد مصطلح معيّن لموضوع معين، والأمر نفسه نجده في **معجمية جورج ماطوري**، الذي أطلق عدّة تسميات على معجميته، وفقا لمبادئ سار عليها، وهي:

**المبدأ الأول: المعجمية الاجتماعية** وصف جورج ماطوري المعجمية بهذه الصفة؛ لأنه أدرك وزن المجتمع وثقله في مادة المعجمية، وأشار إلى دور هذا الأخير في الدراسة العلمية للمعجمية، مبيِّنا ارتباطه الوثيق بها، فحسب رأيه، فالمجتمع زاوية مهمة لا بد من إلقاء الضوء عليها أثناء الدراسة، وهنا يذكر أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وإن تجاهل هذه القضية يعتبره ماطوري دراسة ناقصة في ظل غياب عامل الاجتماعية في اللغة، ومحاولة دراستها خارج المجتمع محاولة عبثية إذا ادَّعى صاحب الدراسة أنها دراسة شاملة، وهي في حقيقتها ناقصة، وقد وضع جورج ماطوري هذا الرأي في قوله عند تعريف المعجمية قائلا: «**علم مجتمعي يستخدم الأدوات اللسانية التي هي الكلمات**».

إنَّ المتمعِّن في هذه الأفكار، يجد أنَّ ماطوري قد عارض اللسانيات في مبادئها، وفي كثير من مسلَّمات دي سوسير؛ حيث قال بأنَّ كلا من اللغة والمعجم يشتركان في الغاية، وتتمثل في **تفسير المجتمع**

وإضاءة جوانبه المظلمة، وهذه الفكرة بالذات تعارضت مع فكرة دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها التي قال بها دي سوسير.

وتجدر بنا الإشارة كذلك، إلى أنَّ ماطوري قد اهتم بفكرة **التغيرات الاجتماعية،** واعتبرها موضوع الدراسة، التي قلنا عنها سلفا بإهمال دي سوسير لهذا الجانب بشكل جزئي.

إنَّ النقطة المعروفة التي لا تحتاج تعريفا، كون الطلبة جميعهم يعرفون ثنائيات دي سوسير، مثل اعتباطية الدال والمدلول، وهذه الفكرة في حد ذاتها عارضها جورج ماطوري، وقال فيها: «**إنَّ المناسبة بين الدال والمدلول ليست طبيعية واعتباطية، بل إنَّها اجتماعية**».

إنَّ خلاصة الأمر، أنَّ ماطوري قد أعاد الاعتبار لما قد أهمل من قبل أو نُسِي، وهو إدراج المجتمع في الدراسات اللغوية، الذي اعتبره وجها من أوجه المعجمية لا يمكن فصله عنها.

**المبدأ الثاني: معجمية الحقول:** وقد ركَّز جورج ماطوري كذلك على **معجمية الحقول،** كونها تقوم على تصنيف **المفردات** إلى مجموعة من الحقول بحسب التصوُّرات والمفاهيم الخاصة بكل مجتمع على حدة، وفي كل مرحلة تاريخية معيَّنة، يقول عبد العلي الودغيري: **وفكرة الحقول هذه لم يكن ماطوري في الحقيقة أول من نادى بها أو طبقها في دراساتها، فهو نفسه يعترف بأنها فكرة دعا إليها الألمان، مثل "إبسون"، وعملوا على الانتقال بالدراسة اللغوية من البحث في تاريخ الكلمة إلى البحث في مجالات استعمالها.**

وبذلك، فضل جورج ماطوري تطوير فكرته، والسير على خطى الأولين، وباعتبار البحث المعجمي لا ينبغي أن يجري إلا في إطار المجموعات.

**المبدأ الثالث: معجمية الكلمة** دافع جورج ماطوري بشدَّة عن الكلمة، باعتبارها **الوحدة الدلالية** التي تبنى عليها الدراسة، كذلك وقد جعل الكلمة أساس دراسته.

وتصنيف الكلمات عنده، يتخذ شكلا هرميا، نجد في قمته **الكلمات المفاتيح،** وترتَّب حسب ما لها من قيمة ووزن اجتماعيين، وفي قاعدة الهرم تقع بقية الكلمات، وتُرتَّب بحسب قيمتها.

**المبدأ الرابع: معجمية متحركة:** أقام جورج ماطوري لعامل الزمن أهمية بالغة في دراساته المعجمية؛ إذ دعا لإخراج اللغة من آنيتها والتغلغل في **عامل الزمن؛** لأنّ **الأحداث** تتغيّر من زمن لآخر، فمن الضروري أن تنعكس هذه الأحداث والتغيّرات على اللّغة، ومن واجب الباحث خلال سيرورته التنقيب في هذا الزمن، وإلقاء نظرة على ما تغيّر في اللّغة وما طرأ فيها من جديد؛ إذ اعتبر ماطوري عامل التغيير مركز الدراسة، فقال: " **نحن نعتبر هذه التغيّرات بالذات هي الموضوع الذي نبحث فيه** "؛ إذ تتعرض كل لغة في كل مجتمع من خلال فترات زمنية إلى تغيرات تنعكس بالضرورة على المفردات التي يتلقاها الفرد في كل وقت من الأوقات.

**ثامنا: علاقة اللسانيات الاجتماعية بالمعجمية الاجتماعية عند ماطوري**

**يقول محمد رشاد الحمزاوي:**

في اللسانيات الاجتماعية آفاق كثيرة للمعجم، سعت **المعجمية الاجتماعية** إلى استثمارها. فلقد سبق للمفكِّر الموسوعي في عصر النور، الفرنسي ديدرو Diderot أن أسَّس لهذه المقاربة بأن أشار إلى أن

" **لغة شعب ما توفر مفردات كلامه، وتعتبر مرآة تعكس بأمانة معارف ذلك الشعب. فيكفي أن نقارن مفردات كلام أُمَّة على مدى حِقب مُختلفة لنستخلص منها فِكرة عمَّا حققته من تقدم** "[1]، فضلاً عما تتميز به تلك اللّغة من مواصفات وخصائص مشتركة أو مختلفة أو متنافرة في مستوى شرائحها الاجتماعية المعنية.

ولا داعي هنا إلى أن ندخل في المستويات اللغوية الاجتماعية (الأكاديمي والأدبي، والعادي، والشعبي والصوفي، والملاحنة...إلخ) التي لابدّ من وضع مدونات (Corpus) مصداقة عنها وتنزيلها من المعجم ومداخله حسب مقاييس متَّفق عليها وحسب وظيفة كل معجم. ويهمنا بالخصوص في هذا النطاق المنهجيات التي يعتمد عليها لاستقراء الشرائح الاجتماعية ولغاتها. فلقد زودتنا **المعجمية الاجتماعية** بمناهج متعددة منها العناية بـ:

* **الأحداث التاريخية** وبالأحرى السياسية والحضارية، وما ينشأ منها من رؤى ومفاهيم تعبِّر عن تغيُّرات عميقة كثيرًا ما تطرأ إثر وفاة ملك أو زعيم رائد، أو حرب أو كوارث طبيعية، أو اختراعات علمية تؤسس للخطاب المعجمي وتؤازره وتجدده.

* – **جدل الأجيال** على أساس أن مفاهيمها وصراعاتها كثيرا ما تتولَّد عنها لغة بل لغات لها خصائصها ورؤاها وخياراتها ومفاهيمها التي هي في تطور مستمر. ويحدد عمر الجيل بمدة وسط تراوح بين ٣٠ و ٣٥ سنة تتوفر في غالب الأحيان فيها أرصدة لغوية ومعجمية تستحق أن تجمع وتوصف وتمعجم.

– **الكلمات الشاهدة على زمانها**، وهي كلمات ومفاهيم ليست مطردة بالضرورة. فهي كلمات تتميز بوزنها ثقلها المعجمي على غرار الوزن الذري للمادة، لأنها الشعار المادي المعبر عن حدث فكري واجتماعي يجسم حدثا حضاريا. وذلك ما تنبه إليه الشيخ المرصفي بعنايته بالكلمات التالية:

تربية، حكومة، عدل ... إلخ التي تغيّرت معانيها الجديدة عن أصولها القديمة. فكلمة ذرة Atome من هذا القبيل، وهي شاهدة على المجتمع الذري الحديث وذلك شأن كلمتي حاسوب / حسوب / Ordinateur Computer وانترنيت Internet الشاهدتين على عهد الاتصالات والإعلاميات والعولمة. ولقد تكاثرت هذه الكلمات الشاهدة حتى كادت تبلغ نسبا من الشيوع مهمة، مما يفيد أن الإنسان المعاصر قد انتقل من مرحلة الوصف والاستطلاع إلى مرحلة الاختراعات والإبداع.

– **الكلمات المفاتيح** وهي الكلمات بأنواعها البسيطة والمركبة والمعقدة التي ترمز إلى مثل اجتماعي أعلى تختص به حقبة أو مجتمع معين.

وهي تعبر عن مبادئ، وعقائديات ومذهبيات من شأنها أن تدل على تغيرات في كيان المجتمع سلبًا أو إيجابًا مثل برجوازية رأسمالية، اشتراكية، عمالية، وطنية، قومية، استعمار، عالم ثالث لائكية علمانية... إلخ، وما وراءها.

[1] Georges Matoré – la méthode en Lexicologie – Paris ١٩٥٣ – Préface
المنهجية في المعجمية – تصدير)

وفي هذا السياق يمكن أن نعنى بمنهجيات فرعية تركز على:

- العلوم (القانون، علم الاجتماع، البيولوجية، الماورائيات الفيزياء، الفقه...إلخ).
- التقنيات (الحرف والمهن والتخصصات المتعلقة بالجسم والصحة والاستهلاك، والصيانة... إلخ).
- الجماليات (الفنون الجميلة، التصوير، الرسم، الموسيقى، الرقص، الغناء، الشعر، الرواية، المسرح... إلخ).

ولابد أن نختم هذه المنهجيات بالإشارة إلى **منهجية المعجمية الإحصائية** ( Lexicometrie / Lexicometry) التي تزود المعجم بأنواع الكلمات المذكورة أعلاه من جميع شرائحها الاجتماعية، وتوفر له نسب اطّرادها وشيوعها وندرتها، ومواصفاتها ودلالتها واستعمالاتها المقتبسة والهامشية والبلاغية والأسلوبية، وكل ما من شأنه أن يثري النص المعجمي وخطابه بمحتويات مرقمة دقيقة وموضوعية شاهدة شهادة صدق على مجتمعاتنا.

**خاتمة:** إنّ لكل نظرية رائدا يتزعمها، تصاحبها محاسن وعيوب، ولعل الأفكار التي جاء بها جورج ماطوري، يمكن أن تصلح كقاعدة لها بعد، كما يمكن أن تكون العكس، ويبقى دور هذا المعجمي هاما في البحوث اللغوية، حيث طور كثيرا من مفاهيم دي سوسير، وتوسع في جوانب كثيرة مهملة من قبل، حتى إنه عارض بعض المسلمات القبلية، بوضعه مبادئ جديدة من اجتهاده الخاص، ويمكن التوصل إلى النتائج التالية:

إعادة ماطوري الاعتبار للسياق الاجتماعي في دراسته.

إثباته أن اللسانيات والمعجمية ليستا معزولتين عن بقية العلوم الإنسانية.

مجاورة المعجمية لعلم الاجتماع.

تأكيده أهمية الزمن كعامل رئيس في عملية التحري عن المفردات المعجمية.

مراجعة فكرة التمييز بين اللغة والكلام.